حوار

يمضي الروائي المصري محمد عبد النبي (1977) في مشروع سردي طويل، بدأه قبل سنوات بنشر مجموعات قصصية عدة، منها «وردة للخونة»، «شبح أنطون تشيخوف»، «بعد أن يخرج الأمير للصيد»، قبل أن يصدر روايته الأولى «رجوع الشيخ»، ثم مجموعته القصصية «كما يذهب السيل بقرية نائمة»، وأخيراً روايته الأحدث «في غرفة العنكبوت». إلى جانب هذا المنتج الإبداعي، ينشط «نيبو» – كما يناديه أصدقاؤه – في حقل الترجمة، إذ أصدر ترجمات عدة لروايات عن اللغة الإنكليزية، وأخيراً حاز جائزة الدولة المصرية التشجيعية في مجال الترجمة، بخلاف عدّة جوائز أخرى، منها «ساويرس» في القصة والرواية. كما وصلت روايته «رجوع الشيخ» إلى القائمة الطويلة بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر). أضف إلى ذلك إدارته لمحترف الكتابة (الحكاية وما فيها)، الذي يشرف عليه منذ سنوات.

يميل الكاتب المصري إلى التجريب، يفضّل تقديم بناء سردي مخاتل، أو فكرة لامعة لا تجنح للأنماط الكلاسيكية المعتادة والمتراكمة. ربما يفعل ذلك إيماناً بمقولته التي كررها في أكثر من مناسبة «الكتابة هي اللعب بمنتهى الجدية». لكن، وعلى الرغم من ذلك، جاءت «في غرفة العنكبوت» (العين للنشر 2016)، خالية من

# محمد عبد النبي: لم أتعامل مع بطل روايتي

أحمد مجدي همام

■ في روايتك «في غرفة العنكبوت» محاولة للحفر في منطقة شائكة على المستوى المجتمعي... هل شعرت أنك مقدم على مخاطرة بالنبش في هذا الموضوع؟

**ـ لم تكن هناك مخاطرة على المستوى المجتمعي، الرواية موضوعها صادم لكنها – من حيث الأداء عموماً – غير صادمة، نستطيع أن نقول إنّها كانت مغامرة محسوبة. كنتُ أدرك أنني أنجز شيئاً مختلفاً ومهماً بالنسبة إليّ ولتجربتي مع الكتابة، لكني لم أشعر به كمخاطرة بالمرة.**

■ يبدو هاني محفوظ، أيقونة ورمزاً للقمع المجتمعي ليس حيال المثليين فقط، وإنما حيال الاختلاف عموماً.. هل نستطيع القول إن هذه رواية (الأقلية) المقموعة أمام الأغلبية القامعة؟

**ـ تجنبتُ قدر ما استطعت أن أتعامل مع شخصيتي الرئيسية، هاني محفوظ، كأيقونة أو رمز لأي شيء، من شأن هذا أن يمنع هواء الحياة عنه. تعاملت معه كإنسان يتعرض لظروف خاصة، تضعه في قفص. باختصار هذه رواية هاني محفوظ الذي صادف أنه جزء من أقلية قمعها المجتمع، لكنه لا يمثل إلّا نفسه. ليت المعادلة هي أن هناك أقلية مقموعة أمام أغلبية قامعة، لكنها أعقد من ذلك كثيراً، ربما هي أقليات تضطهد بعضها بعضاً، وربما هي أغلبية واحدة تضطهد بعضها بعضاً، لست متأكداً. التشبث بالاختلافات بين الناس ومحاكمتهم بناء عليها حيلة كل مجتمع عاجز، وتذويب تلك الاختلافات أيضاً خطر آخر قائم. بعيداً عن الكلام الكبير يجدر بنا أن نبحث وراء سؤال أي تهديد يمثله لنا اختلاف الآخر عنا؟ هل هناك تهديد حقيقي أم أنها أوهامنا وبضاعة تجّار السياسة والعقائد؟ مجرد التساؤل قد يفضي إلى اكتشافات كثيرة.**

■ استندت على حادثة «كوين بوت»، ورغم ذلك أكدت أنها خلفية بعيدة وأنك لا تنشد محاكاة الواقع... فما الداعي لاستحضارها هنا؟

**ـ الدراما هي الداعي، أولاً وأخيراً، ربما أردت أن أجعل منه جزءاً من حدث أكبر من حكايته، حدث صار الآن مهدداً بالنسيان طيّ التقارير الحقوقية والأوراق الرسمية رغم ما تركه من أثر فاجع في نفوس أكثر من خمسين رجلاً. حدث ما زال يتكرر حتى الآن ولو بصور مصغرة، لكنها متواصلة، بعيداً حتى عن مباحث الآداب، إذ استطاعت إحدى المذيعات في برنامجها قبل شهور أو ربما سنة أن تشن غزوة مباركة على حمّام بخار بلدي وأن تقبض بمعاونة الشرطة على كل الموجودين به وأن تصوّرهم وأن تشعل الدنيا ثم انتهت القضية إلى لا شيء وخرجوا براءة... ما معنى هذا؟ ما طبيعة المجتمع والمؤسسات التي سمحت لهذه المذيعة بأن تلعب دور الشرطة الأخلاقية والمخبر والقاضي والجلاد معاً؟**

■ تعرّض هاني محفوظ وآخرون معه لظلم ومحن كبرى... انعكس ذلك على نفسيته وصوته (صوته الفيزيقي، وصوته في عملية السرد)... ألَمْ تخشَ أن يتحول هذا الصوت إلى عملية عويل ونواح ممتدة؟

**ـ هذا خوف دائم عند تناول أي موضوع له هذه الدرجة من حساسية المشاعر والصدمات النفسية والشعور بأنك ضحية. وزادَ هذا الخوف مع استخدامي لصوت الضمير الأول والسرد بلسان هاني محفوظ نفسه، وربما تكون الرواية انزلقت بالفعل إليه في بعض المواضع، لكن كانت عملية التحرير وإعادة الكتابة هي طوق النجاة في استبعاد كل شبهة ازدياد عاطفي قدر الإمكان. المشكلة ليست في أن تنصت لصوت رثاء للذات وتفجّع، بل أن تستطيب الاستماع لهذا الصوت، وألا يخدش أذنيك صراخه، ألا تشعر أنه مبتذل ومكرور مثل أغنيات النواح العاطفي؟ وتلك كلها أسئلة يواجهها الكاتب مرة بعد أخرى، ويحاول الإجابة عنها عملياً في سياق لعبته، وإجابته مرة تصيب ومرة تخيب.**

■ تناقل صوت الراوي عبر خط الزمن في الحاضر والماضي البعيد والقريب... لماذا اخترت تقطيع خط الزمن بهذا الشكل؟ ما الذي أردت أن تقوله عبر هذه التقنية؟

**ـ اخترت تقطيع الزمن بهذا الشكل، لأنني ببساطة لم أجد شكلاً آخر أنسب. ورغم هذا حرصت – قدر المستطاع – ألّا تكون النقلات أزيد مما يجب أو محيّرة ومربكة، صار القارئ معتاداً على هذا اللعب بخط الزمن في السرد الأدبي وفنون الدراما المرئية عموماً، فلم تعد بالنسبة له عقبة في التلقي أو مصدر للدهشة. أحياناً لا يجب أن تقول التقنية شيئاً، يكفي أنها تؤدي الغرض، وكان من بين أغراض التقسيم الزمني للرواية هو شد خيط التوتر، بمعنى استمرار القضية والحبس والمحاكمة كخيط ينقطع ويتصل مغزولاً مع بقية خطوط العمل، خلفية حياة الراوي وقصصه الشخصية حتى وصوله إلى لحظة القبض عليه. بالنسبة إليّ الأمر بسيط للغاية: الرواية متواصلة من طفولة الراوي وحتى خروجه من السجن واستعادته صوته، يقطع هذا الخيط فصولاً تتصل بتجربة السجن. في كتابات سابقة، كانت هناك تصورات أكثر تشابكاً وتعقيداً للبنية تم استبعادها كلها.**

■ هل نستطيع القول إنك اتخذت مساراً مختلفاً في الرواية الأخيرة، وانحزت للمرة الاولى في كتاباتك إلى بناء كلاسيكي خال من ألاعيب السرد وتقنياته لصالح عمق الشخصية والموضوع؟

**ـ عندي قصص قصيرة كثيرة تخلو تماماً من أي ألاعيب تقنية، وإن كانت تعتمد على ألاعيب أخرى. ربما نكون قد حبسنا فكرة الحرفة بمعناها الواسع داخل علبة صغيرة اسمها ألاعيب السرد، ثمة حرفة معقدة قادرة على إخفاء آثارها بحيث يظهر العمل بريئاً وبسيطاً كأنه كتب نفسه بنفسه، هذه من أعلى درجات الحرفة في ظني، ولا أدعي أنني بلغتها في «العنكبوت» ولكنها كانت من بين طموحاتي. طبعاً، انحزت للبساطة، ولكن ما هو البناء الكلاسيكي؟ هل هو بناء فلوبير أم أغاثا كريستي أم تشارلز ديكنز أم دان براون أم جون إرفينغ أم...؟ لا أظن أنه يوجد بناء كلاسيكي واحد نهائي، هي فقط فكرة يرتاح لها الأكاديميون. قصدي ببساطة كان ألّا أربك القارئ لكي يتجه بكل كيانه وحواسه ووعيه نحو حكاية شخصيتي، يعيش فيها ويتماهى بها، حتى يكاد ينسى أنه يقرأ رواية. إلى أي مدى نجحت في هذا؟ الله أعلم.**

■ كيف تشرح المقولة التي رددتها في أكثر من حوار صحافي «الكتابة هي اللعب بمنتهى الجدية»؟

**ـ أظن أن شرح مقولة بسيطة وظريفة كهذه يحتاج إلى تأليف كتاب صغير، نذهب فيه وراء ظاهرة اللعب عند الأطفال والحيوانات ثم البالغين والفنانين، ثم نختبر معنى الجدية وهل هي تعني ولا بدّ الجهامة والتحجر أم الإخلاص والتوحّد بما نقوم به. ثم سنحاول بعد ذلك أن نستكشف أفق تلك الأفكار داخل كتابة نراها لعوباً أو تدّعي هي أنها لعوب.**

■ تنحاز للقصة القصيرة أكثر من انحيازك للرواية، هذا ما تقوله سيرتك الذاتية، كيف ترى مساحة اللعب وإمكانات السرد في كلا الحقلين؟

**ـ كتبت قصص قصيرة أكثر مما كتبت روايات، وأظن أن هذا طبيعي في ظل ظروف كثيرة لا تتيح للمرء**